

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

@ 265 @ أيضا إنه أخو زيان ونعير وغيرهما اتفقوا عليه بعد قتل ابن أخيه هبة بن جمار وورد تقليده وخلعته على يد أخيه نعير في يوم السبت ثامن ربيع الآخر سنة ستين وسبعمئة وقرء على دكة المؤذنين فكانت ولايته عطية من الله كاسمه لما انطوت عليه سريرته من الخير والصلاح والتوكل على الله والزهد في الدنيا والكراهة في الأمر والنهي وسعيه في مصالح دينه قانتا الله خائفا منه منيبا إليه وأوقاته مقسمة في الطاعة ما بين خلوة في عبادة أو نظر في مصالح رعيته دائم الصمت كثير الخشية يجلس في النادي فلا يخوض معهم ولا يضحك لصحكهم قد لزم السكوت وأشغل قلبه بذكر معاده إذا صلى الصبح جلس في مصلاه لا يتكلم حتى يصلي الضحى مع حسن توجه وإقبال على الله وانصلح به جميع قراباته ورد المدينة إلى حالة يغبط أهلها على سكنائها من العافية والأمن العظيم وسلامة الناس في أنفسهم وأهلهم وأموالهم وكان كارها للولاية لولا ما يخاف من خروجها من آل منصور لو تولى عنها ولا يزال يشكو من المكس والعشور ويمنع وزيره أن يدخله في طعامه أو شرابه حتى ظهره الله تعالى بحسن نيته وصلاح سريرته وعوضه عنه الأشرف بإشارة أتابك الدولة يلبغا وسر بذلك ومع هذا فما كأنه كان أميرا ولا أقام بالمدينة سنة متوالية منذ وليها بل كان يقيم فيها إخوته أو ولده كراهية من مباشرة الأحكام وخوفا من الوقوع في مظالم العباد ويوصي نوابه بحسن السيرة وكذا كان من شأنه التورع عن الموارث التي يعلم أن أهلها غيب ويحفظها عليهم وينفذ وصايا الأموات الذين لا وارث لهم ويخرج الزكاة من ماله على المستحقين ويحسن إلى أرامل الشرفاء وأيتامهم من ماله ومناقبه كثيرة ومحاسنه عديدة انتهى وعزل با بن أخيه هبة بن جمار بن منصور في سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة ثم أعيد موسى سنة اثنتين وثمانين بعد مسك ابن أخيه بمكة ودام حتى مات كما أرخ شيخنا في أنبائه وفاته سنة ثلاث وثمانين وسبعمئة بالمدينة وكذا أخوه نعير وابن أخيهما هبة بن جمار بن منصور واستقر بعد عطية جمار بن هبة بن جمار بن منصور وقال المجد وهو الأمير العباد السجاد الحائز من المناقب ما يضيق عن حصة التعداد ولي المدينة بعد أخيه جمار بن منصور كارها غير راض وقدرا في العبد ماض وعليه قاض وذلك أنه لما قتل جمار سأل ولده الأمير هبة أن يقبل على الولاية ويقبلها ويستتر على الرعية بذيل معدته ويسألها فامتنع وأبى وكل سيف عزمه عن قبول القضاء ونبا فأقبلوا على زيان واجتمع عليه الحيان فقال حاشي أن أتقدم على أخي عطية فإن تقدمي عليه خطأ أو خطية وهو أصلحنا وأولانا وأسودنا وأعلانا وخيرنا في ديننا ودنيانا وعليه تقع قرعة الاختيار ولا يتوانى فاتفت الآراء على تقديمه وتأميره وتسويده في الأشراف وتكبيره كل ذلك

وهو غائب في عربيه وليس هذا الأمر من بغيته ولا من